التربية الاخلاقية عند امانويل كانط

م . د . نسرين خليل حسين

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

الكلمات المفتاحية: التربية . الاخلاق . ايمانوئيل كانت

الملخص

انطلق "كانط "من الواقع الألماني وحاول تقديم إصلاح أعمق في شتى مجالاته لينهض بمستقبل الإنسانية عامة وألمانيا خاصة، باعتبار إن "كانط" فيلسوف أخلاقي بالدرجة الاولى كان يبحث في مصير الإنسانية ككل وأدراك ان الأخلاق لا تأتي إلا بالتربية كونها خاصية إنسانية ولهذا الطرح هو الذي استرعى انتباهنا ومنه كان موضوع بحثنا، وللوصول لهذا الهدف سار البحث على النحو التالي:

المبحث الاول نستعرض فيه الضوابط الاخلاقية من منظورها التربوي عند كانط، والمبحث الثاني تحدثنا عن الخطوات الاساسية او العلمية في التربية الاخلاقية لدى كانط اما المبحث الثالث فكان مخصص عن الصفات الرئيسية في تكوين الاخلاق عند الطفل.

المقدمة:

القارئ للفكر الفلسفي الألماني نجد أن من أهم اعلام الفكر هو الفيلسوف ايمانويل كانط الذي انتج الاتجاه المثالي او النقدي في الفلسفة الحديثة، والذي تميز بنزعته الاخلاقية والانسانية والعقلية. كما عرُف بأنه ناضل في عصر التنوير من أجل ترك الاجترار وعزف عن الموروث والتقاليد وتشجيع على استعمال العقل والتوجه نحو التفكير والنقد والحرية.

لم يكن " كانط" فيلسوفا فحسب وانما كان مربياً في دائرة التعليم والتربية في عصره وتميزت آراؤه التربوية بالدقة والعمق والرؤية الحاذقة، ونظامه التربوي كان يقوم على الاخلاق، لذلك احتلت التربية الاخلاقية لدى كانت اهمية كبيرة، وتميزت لديه بمكانه رفيعة ومنزلة شامخة، لانه كان يعتقد بأن التربية الخلقية هي ديمومة المجتمع وحمايته وسلامته.

والتربية الاخلاقية عند "كانط" بمثابة تربية للإرادة، ومسألة السلوك الاخلاقي تعد بمثابة الركيزة الاساسية التي تقوم عليها اي نشاط إنساني، وهي القوة التي تنظم الحياة الاجتماعية من كل جوانبها، فالأخلاق ليست مجموعة من القوانين المجردة، بقدر ماهي اسلوب في التعامل مع الافراد في مواقف الحياة العملية.

وتكمن اهمية نظام كانت التربوي في تكريمه للأخلاق والفات نظر الانسان الى باطنه وضميره.

المبحث الاول: الضوابط الانسانية من منظورها التربوي عند " كانط "

في الفلسفة الحديثة هنالك اتجاهين او طريقين مختلفين في فلسفة الاخلاق فالاتجاه الاول الذي يعتقد ان الخير هو شيء محسوس وملموس ويقيسون نتائج الافعال بمعيار التجربة والمنفعة.

اما الاتجاه الثاني فهورافض ان تكون الاخلاق مرتبطة بمنفعة او لذة او فائدة للذات، بل الاخلاق هي احساس مرتبط بالالتزام، وجاء "كانط" ووضع اعلى صورة من صور الاخلاق (الالزامية) فالأساس الكانتي يستمد من ((باطن النفس بادراكَ وبصيرة مباشرة))[1] .

اذن فالتربية الاخلاقية عملها هو تكوين بصيرة اخلاقية عند المرء لكي يستطيع بها التمييز ما بين سلوك الخير وسلوك الشر في سلوكه الاخلاقي، وهذا السلوك يقوم على دعامة اساسية هي ((الارادة الخيرة)). والارادة الخيرة عند كانط هي الشيء الوحيد الذي

يمكن ان يعتبره خير فيقول ((من بين الامور التي يمكن تصورها في هذا العالم، أو خارجه، لا يوجد شيء يمكن عده خيرا على الاطلاق ودون قيد، اللهم الا شيء واحد هو الارادة الخيرة))[2].

اذن جعل "كانط" الارادة الخيرة او الطيبة اساس الاخلاق الشريفة، وان الغاية السامية الوحيدة التي تسعى لها التربية هي ((تثقيف الارادة تثقيفاً اخلاقياً صحيحاً))[3].

والارادة الخيرة هي الشيء الوحيد الذي يمكن ان اعتبره خيراً بذاته لأنها تتبع القانون الاخلاقي بغض النظر عما يعود علينا من كسب او خسارة. إذ ليس المهم هو السعادة وانما هو الواجب. اذ ليست الاخلاق مبدأ يعلمنا كيف نجعل انفسنا سعداء، ولكن كيف نجعل انفسنا جديرين بالسعادة[4].

والارادة الخيرة يجب ان تطيع الأمر المطلق، لان الأمر المطلق مبدأ يحكم الارادة، ارادة الانسان حرة عندما يكون السلوك وفقا لقانون الواجب الاخلاقي ، وهنا تأتي التربية في تحقيق هدفها الاخلاقي وهو الارتقاء بعقل الانسان الى مفهوم قانون الواجب الاخلاقي، ويعرف كانت الواجب الاخلاقي هو ((ضرورة اداء الفعل احتراما للقانون))[5].

اي الفعل الاخلاقي لدى "كانط" هو الفعل النابع من الاحساس بالواجب لا من رغبة في أو ميل أو عاطفة أو منفعة، فالواجب هو موجود في قلب الانسان مطلق بلا شرط او قيد فهو ((المفطور في نفوسنا يكون العمل فاضلا وصالحاً لا بسبب ما ينتج عن هذا العمل من نتائج حسنة او طيبة او بما فيه من حكمة ولكن لان هذا العمل قد أدي وفقاً لهذا الشعور الداخلي بالواجب))[6].

ومن هنا يمكن ان نصف الواجب الاخلاقي الكافي بصفات معينة وهي: صوري، محض، لا يقوم على اعتبارات مادية، نزيه، لا يسعى الى السعادة، كما انه يؤسس كل فعل اخلاقي.

اما مصادر الواجب الاخلاقي عند "كانط" هي:

1- الحرية، فهي لا تكون الا في طاعة القانون، فأن "كانط" يصر على ((وجوب تعليم الاطفال ان يسيروا في سلوكهم بحسب قواعد يستطيعون أن يدركوا بأنفسهم انها قواعد معقولة))[7].

وهنا ستواجهنا مشكلة في التربية الاخلاقية وهي كيف نعرف ان نجمع بين الخضوع الذي لابد منه وبين المقدرة في استخدام الحرية. والحل هو كما يرى كانط هو ((اننا نستطيع ان نتيح للطفل من نعومة اظفاره حرية كامله من كل

وجه من الوجوه، على، شرط ان يمنع من الحاق الاذى بنفسه، ومن التدخل في حرية غيره))[8].

ويرمي " كانط" من نظرته الى الحرية في التربية الاخلاقية الى اشعار الطفل او التلميذ بأن لديه قوة خاصة به يدرك بها بالتدريج ماهي حدود حريته بأن لا تتجاوز على حقوق الاخرين، واتباع القانون هي الحرية بحد ذاتها.

2- خلود النفس: وهو الاخلاص التام للواجب الاخلاقي، اي يجب ان يكون هنالك توافق بين الارادة والقانون الاخلاقي وهذا الامر لا يمكن تحقيقه في الحياة او العالم المحسوس، ولذلك ((نحن نميل الى الاعتقاد في امكان تزايد الكمال الى غير نهاية، وهو أمر لا يتصور الا بافتراض أن النفس خالدة. ذلك انه لا يمكن بلوغ الكمال في هذا الوجود المكاني الزماني، لأن الارادة موزعة بين الحساسية الذاتية الخالصة، وبين العقل الكلي. وتبعا لذلك فالكمال الأخلاقي لا يتيسر تحقيقه في هذا العالم، بل يتم بواسطة التقدم الى غير نهاية))[9].

اذن السلوك الاخلاقي يُسلك من اجل الواجب، ومن أجل تحقيق الخير الاقصى والايمان بوجود حياة أخرى بعد الموت والضامن الوحيد لتحقيق الخير الاقصى هو الله.

3- وجود الله: عندما يتم تحقيق الخير الاقصى ستكتمل العلاقة بين الفضيلة والسعادة، والاعتقاد بوجود الله يصدر من تأكيدنا بأن السعادة يجب ان تصحب الفضيلة، و بأن السعادة مصاحبه للأخلاق، وان النعيم يتوج التزام الواجب[10].

وهنا يتجلى دور الدين في الاخلاق، إذ ان الامل في تحصيل السعادة لا يبدأ الا مع الدين.

غاية "كانط" من مشروعه الاخلاقي و التربوي هو رفع شأن الضمير الانساني، وان ((كل عمل يعمل بغير وحي الضمير وقوة الارادة الحرة وصوت الامر المطلق المجرد من الغايات هو عمل ليس من الخير في شيء))[11] .

لذلك ينصح "كانط" المربين بأتباع اسلوب الترغيب في تطبيق القانون الاخلاقي ويقوم على ((ايضاح الفضيلة المجردة وان سلطته على النفس لأقوى من جاذبية السعادة وما يحيط بها من ضروب الاستهواء كاللذة والمنفعة وخوف الشر، إنه ليكفي الانسان ان يبين له الواجب في كل صفاته مجردا عن اسباب المنفعة ليعترف به ويخضع، لا في افعاله بل في نواياه))[12] .

ويمكن القول بأن "كانط" يقر بأن الأخلاق والأدب ليس فطرية وانه يجوز بل يجب ان يتعلمها عن طريق تربية عقل الانسان، فقال ((الانسان بطبيعته ليس كائنا اخلاقيا بالمرة، فهو لا يصير كائنا اخلاقيا الا عندما يرتقي عقله الى مفهومي الواجب و القانون))[13].

ويقر " كانط" ايضا للإنسان له ميل نحو الشر بفعل ما لديه من ميول وغرائز، و((لا يتوفر لديه ادراك صحيح عن الواجب والقانون الا في ظل العقل وبمساعدة الفضائل الخلقية، وحينما يبلغ هذه المرحلة، يصبح موجوداً اخلاقيا لوقوع الميول والغرائز تحت اشراف العقل))[14].

فالتربية هي التي تقوم بإرساء مبادئ قوية وقابلة للفهم والرضى للطفل بل ((يجب ان يتعلموا استبدال الكراهية تجاه الحقد، والخوف من ضميرهم عن خوف عقاب الانسان او عذاب الله، كما يجب ان يتعلموا إحلال تقدير الذات والكرامة الذاتية محل رأي الناس، والاستعاضة عن قيمة الكلمات ومشاعر النفس بالقيمة الذاتية للأعمال و لطريقة التصرف، اي الاستعاضة عن العاطفة بالذكاء-واخيرا- يجب ان يتعلموا إحلال السرور والتقوى المجتمعين في انشراح محل التدين الكئيب))[15].

المبحث الثاني: الخطوات الاساسية او العملية في التربية الاخلاقية لدى " كانط"

عندما نريد تأسيس طبع اخلاقي لدى الطفل لابد لنا ان نتبع الخطوات التالية وهي:

1- السيطرة على اهواء النفس والامساك في زمامها:

وهي الخطوة الاولى في تكوين الاخلاق الحسنة والسيطرة على النفس تتمثل بتفادي الشهوات والاهواء، ولكي يتمكن الانسان من هذا الامر، لابد له ان يتحلى منذ نعومة اظافره بالصبر والتحمل في كف النفس عن الشهوات لكي يستطيع مستقبلا السيطرة على نفسه، فيقول كانط ((تحمل وازهد: هذا ما يعد المرء لاعتدال متبصّر، فاذا أردنا تكوين طبع جيد، ينبغي البدء باستبعاد الأهواء، كما يجب ان يتعوّد المرء على التعامل مع ميوله بحيث لا تتحول الى أهواء. وعليه ان يتعلم الاستغناء عمّا يُمنع عنه يعني: تحمَّل وتعّود على التّحمّل))[16].

وان الشجاعة وتوجيه العقل هما امران ضروريان لكي يتعلم الانسان الاستغناء عن شيء ما وليتعود على ضروب الرفض والمقاومة لرغباته وأهواءه.

اذن_ يجب على اولياء الامور، ان يعلم الطفل كيف ينتصر على ميوله ويخضعها لأوامر العقل، ولو تحقق هذا الامر واصبح على شكل عادة لأدت التربية مهمتها))[17].

2- الواجبات هي الخطوة الثانية: وتنقسم الى:

أ- الواجبات تجاه الذات: وهي لا تتمثل في حصول ملابس انيقة وفاخرة وعلى اطعمة فاخرة مع انه من الضرورة المحافظة على النظافة في كل شيء. كما لا تتمثل في ارضاء رغباته وميوله. وانما على العكس تماما، ان يكون معتدل ومتزن جدا. وانما واجب الانسان اتجاه نفسه يتمثل في ((كونه شاعرا بان للإنسان كرامة تجعله أنبل من جميع المخلوقات الاخرى، وان يعمل بحيث لا يخالف في شخصه هذه الكرامة الانسانية، اننا نعمل ضد كرامة الانسان مثلا عندما نعاقر الخمرة او نرتكب الآثام غير الطبيعية، او نمارس كل انواع الاضطراب والفوضى، وما الى ذلك، التي تضع كلها الانسان في منزلة الحيوانات. واكثر من ذلك التذلل في السلوك اتجاه الاخرين، الاطراء المستمر للاخرين، لكي نجيب انفسنا بمثل هذا التصرف غير المحترم، كما نزعم_ كل هذا ضد كرامة الانسان))[18].

اذن الحفاظ على كرامة الانسان هو فعل طبيعي وينسجم مع الارادة الانسانية وتطبيق لقانون اخلاقي اقره "كانط" هو افعل كما لو كانت قاعدة فعلك يجب ان تقيمها ارادتك قانونا كليا للطبيعة))[19]. وصيغة اخرى ((افعل كما لو كانت مسلمة فعلك ان ترتفع عن طريق ارادتك لتصبح قانونا طبيعيا عاماً))[20].

وواجب الانسان هو ضرورة القيام بهذا الفعل واحترام القانون الطبيعي ومن هذا المنطلق سيكون ضرورة تربية الاطفال وان نعلمهم على محاسبة انفسهم يوميا ودراسة سلوكهم بحيث يصبح بإمكانهم تقييم ثمرة حياتهم في اخر عمرهم، فحينما نمارس عملا متعارضا مع شأن الانسان، كأن نرتكب معصية مغايرة لطبيعة الانسانية او نسلك سلوكا يعبر عن الفوضوية، تكون قد هبطنا بأنفسنا الى مستوى ادنى من مستوى الحيوان. كما ان الشعور بالاحتقار أمام الاخرين ومدحهم والاطراء عليهم جلباً لمحبتهم ايضا هو عمل لا ينسجم مع الشأن الانساني.

وهنا ينبغي علينا من ان نتمكن من جعل الطفل يحس بشأن الانسان ومنزلته وان يكشف له عن اضرار العمل الخاطئ الذي يقلل من كرامة الانسان فيقول كانت ((يمكن ان ينحط الطفل بسبب الكذب دون كرامة الانسانية، أذ بأمكانه سلفاً، حين يكذب، ان يكون قادرا على التفكير وتبليغ افكاره الى الاخرين، فالكذب يجعل الانسان

موضع احتقار لدى عامة الناس، وهو الوسيلة التي ينزع بها فيما بينه وبين نفسه الاحترام والثقة اللذين يجب على كل شخص ان يشعر بهما نحو ذاته))[21].

ب- واجبات الطفل اتجاه الغير او اتجاه الاخرين

ان تعليم الطفل في سن مبكر احترام وتقدير الاخرين وبذل الجهد في تعليمهم هو واجب مقدس، ولابد ان يكون بشكل عملي اي التطبيق في افعالهم، فاذا رأى طفل طفلاً اخر فقير وتعامل معه بتكبر وابعده بطريقة مؤذية، فلا تقل له ((لا تفعل هذا مؤلم للآخر، رأفه به! فهو طفل مسكين .... الخ))[22]. انما ينبغي تعامله كما تعامل الطفل مع الفقير لأن تصرفه كان مناقضا ومتعارض مع الحقوق الانسانية. وبهذه الطريقة نكشف للطفل قبح عمله.

وهنا ركز "كانط" على الاهتمام بتطبيق المبدأ الاخلاقي الخالي من العاطفة في منهجه التربوي والذي ينص على ((افعل بحيث تعامل الانسانية في شخصك وفي شخص سواك، دائما وفي نفس الوقت، على انها غاية، وليس ابدا على انها مجرد وسيلة))[23].

وعلى ذلك يجب تعليم الطفل التعامل مع الاخرين لا على اساس اثارة العاطفة عند الطفل انما تعامل نابع من الواجب، واي تعامل مع الاخرين او تقديم المساعدة تكون قائمة على مبدأ احترام كرامته الانسانية.

ويقر" كانط" وجوب المعلمين والمدربين الا ((يقدموا الاعمال المنطلقة من الارادة الخيرة على انها اعمال خير. فلابد للطفل ان يعلم انه لو قدم مساعدة لبائس فأنه لم يقم سوى واجبه. والناس رغم انهم متساوون، غير انهم متباينون من حيث الانتفاع بالحياة المادية. وهذا التباين عرضي وناشئ من الفرص التي سنحت لهم او لأسلافهم))[24].

ومعنى ذلك ان" كانط" جعل من الانسانية غاية يجب ان يراعيها المرء في سلوكه مع الاخرين.

الخطوة الثالثة في تربية الاخلاق هي التزام في الفعل الاخلاقي او الثبات على الفعل الاخلاقي:

قلنا سابقا ان "كانط" اكد على الفعل الاخلاقي القائم على اساس الواجب لا على اساس العاطفة والاحسان، اما الثبات والالتزام على الفعل الاخلاقي في حياة الانسان

يأتي عن طريق تربية الانسان منذ صغره على قوة الارادة والنظام والانضباط وهذه الصفات لابد ان تكون اساسية في الطبع الانساني، فيقول ((انكَ ملزم، ولذلك فأنك تستطيع))[25].

ولكي نحقق الهدف المنشود، يجب علينا ترسيخ صفة الانضباط في سلوكه اي استخدام طريقة التطبيق العلمي للفعل الاخلاقي في حيز الواقع، فاذا عزم الانسان على القيام بفعل الخير و ادخله في حيز الواقع، اذن سيكون هذا هو الطبع الجيد او السلوك الاخلاقي الحسن ومثال على ذلك ((اذا قدمت لاحد وعدا، فيجب ان اوفي به، حتى ان سلمت بأنه قد ينتج ضرر بالنسبة إلي. ذلك ان إنساناً ينوي شيئاً ما ولا يفعله ولا يستطيع بعد أن يثق في نفسه. واذا قرر أحد ان يستيقظ دائما في وقت مبكر للدراسة أو لفعل هذا أو ذاك، او للنزهة، و يعتذر عن ذلك فيما بعد اثناء الربيع لان الجو مازال باردا جدا في الصباح وانه قد يصاب بتوعك، واثناء الصيف اذ يطيب النوم ويلذ له، بحيث يرجى دائماً تنفيذ القرار من يوم إلى آخر، فأنه في النهاية لن يثق في نفسه))[26].

اما الخطوة الرابعة في تربية الاخلاق هي تربية الطفل على الاقبال للفضائل والابتعاد عن الرذائل:

ان السلوك الانساني له دور في التعامل الاجتماعي فيما بينهم، فاذا أراد الانسان ان يحض باحترام الاخرين في مجتمعه فلابد له ان يتحلى بالفضائل والافعال الخلقية الحسنة وان يبتعد او يتفادى الوقوع بالرذائل، وعلى ذلك اكد "كانط" على تربية الطفل على الفضائل، واول خطوة نقوم بها لكي يكتسب الفضائل هو الابتعاد عن مقارنة الطفل بغيرة وحذر منه لأنه سوف يثير الحسد في نفس الطفل، انما يجب على المربي او المعلم ان يساعد الطفل ((ان ينظر الى نفسه وفقا لمفاهيم عقله))[27]. ومعنى ذلك ان يساعده لتقويم نفسه على اساس عقله وضوابطه العقلية، لان اذا تمت مقارنة نفسه بالأخرين فانه سيقوم بكل ما يستطيع فعله لكي يثبت بأنه الأفضل، ان يقوم بالعكس فيظهر بأن الاخرين هم الخاطئين ويحط من قيمة الأخر. اما الحالة الصحيحة التي قال بها كانط والتي يمكن بها ان نخلق روح التنافس و بشكل ايجابي، هي ((تلك الحالة التي نريد فيها إقناع شخص بأن شيئا ما قابل الانجاز، مثلا عندما أُلزم طفلاً بتعلم شيء ما و أبّين له أنّ أخرين يقدرون على فعله))[28].

اما فضيلة التواضع فجعلها "كانط" هي المقياس لمقارنه قيمتنا بالكمال الاخلاقي، فدعت الديانة المسيحية الناس الى ((التواضع عن طريق قياس انفسهم بأفضل نموذج

كمالي، وليس عن طريق النصيحة والوعظ. كما ان التواضع لا يعني ان يعتبر المرء نفسه حقيرا و تافها امام الاخرين))[29].

وعندما يتربى الطفل على التواضع ينتج منه انسان يتسم بالصراحة، فالصراحة هي الثقة في الذات والقدرة على اظهار مواهب الشخص كلها بشكل مناسب، لذلك يجب على المربي واولياء الامور ارساء الصراحة لدى الاطفال، وهنا ميز كانت الصراحة تميزاً تاما عن الوقاحة التي تقوم على عدم الاهتمام برأي او حكم الأخر.

وايضا حذر "كانط" من الغرور فهذه صفه لا تليق بالإنسان ويجب الابتعاد عنها وهي من الرذائل، لذلك يجب ان لا نسمح بأي حال من الاحوال ان يُهين احد الاطفال طفلا اخر كما ينبغي السعي الي تجنب كل شعور بالاعتزاز قائم فقط على الامتيازات في الثروة.

وحث "كانط " المربي والوالدين على تربية الطفل على الفضائل وقسمها الى ثلاثة انواع وهي فضائل جديرة بالاحترام وهي تنمي فضيلة السخاء وروح الاحسان و السيطرة على زمام النفس.

اما فضائل الالزام فهي تنمي فضيلة الوفاء واللياقة واللطف والرقة، اما النوع الثالث فهي فضائل البراءة وتنمي فينا فضيلة النزاهة والاحتشام والاعتدال[30].

كما يجب على المربي ان يبين للطفل ماهي الرذائل وعرفها " كانط" هي ((تعود الى الخُبث والخسة و الى قصر النظر))[31]. وعلينا تربية الطفل الابتعاد عن الرذائل، وقسمها كانط الى ثلاثة وهي رذيلة الخبث سوف يولد عنه رذائل اخرى وهي الحسد ونكران الجميل والفرح بشقاء الغير، اما رذيلة الخسة فينشأ عنها رذيلة الجور على الغير وعدم الوفاء بالعهد، والفساد كتبديد المرء لأمواله او تبدبد صحته، اما رذيلة قصر النظر او ضيق العقل ستزرع في نفوسنا رذيلة قساوة القلب والبخل والكسل و الميوعة))[32].

وان الرذائل هي حالة الخروج من الحالة الطبيعية، والانسان له غاية الخروج من حالة الطبيعة وهنا يأتي دور التربية في رجوع الانسان الى حالة الطبيعة او قانون الطبيعة، لذلك يجب ارساء دعائم ومبادئ قوية في نفوس الاطفال، كما يجب على المربي جعل المبادئ قابلة للفهم على الطفل ويقتنع بها، فأن التحلي بالفضائل الى الحالة الطبيعية للإنسان لكي يصبح انسان بمعنى الكلمة، فالرذائل تخرجه من انسانيته ويكون مجرد حيوان، والتربية هي الكفيلة لهذه المهمة الصعبة.

المبحث الثالث: الصفات الرئيسية في تكوين الاخلاق عند الطفل

1- الطاعة:

الطاعة هي اهم صفة لتكوين الخلق وتبلوره، اذن لابد من تربية الطفل على الطاعة لكي يرى انه ملزم بالانصياع للقوانين والنظم وقسم "كانط" الطاعة الى نوعين، الاولى هي طاعة الارادة الموجه (المعلم، الكبار) المطلقة ويمكن ان تكون ناجمة عن الاكراه او الاجبار، وهي طاعة ضرورية للغاية لانها تعد الطفل للالتزام بالقوانين التي ينبغي ان يتمثل لها فيما بعد صفة مواطناً حتى وان لم تنال رضاه، اما النوع الثاني من الطاعة هي طاعة الارادة الناجمة عن الثقة ويصفها كانت بالمتعلقة والطيبة.

و بناءً على ما اقره "كانط" لابد من اخضاع الطفل لقانون الزامي او قانون الضرورة وهذا القانون ((يجب ان يكون قانونا عاما وقاعدة تكون دائما نصب العين خاصة في المدارس، ويجب على المعلم ان لا يظهر اي محاباة او افضلية لطفل دون الاخرين، فبهذا يتوقف القانون على ان يكون عاما. ففي اللحظة التي يرى فيها الطفل ان اطفالا اخرين لا يخضعون لنفس القاعدة كما يفعل هو، فأنه سرعان ما يصبح متمردا))[33].

وميز "كانط" بين طاعة الطفل وطاعة المراهق فطاعة الطفل تقوم على الخضوع لقواعد الواجب اي طاعة سلبية ينفذ الطفل ((لكل ما يطلب منه، وذلك لعدم تمتعه بالقدرة على التحكيم والتمييز بين الامور))[34].

اما طاعة المراهق فهي تعمل في حيز حريته، ففي هذه المرحلة لابد من التنسيق ((لابد من التنسيق بين الطاعة والحرية، ولابد من ان يفهم التلميذ ان حريته محدودة. كما يجب ان يعلم في ذات الوقت كيف بإمكانه استخدام حريته، ولابد له من معرفة ان الهدف من الالزام، اعداده لكي يكون قادرا على العيش بحرية في المستقبل))[35].

اما عن العقوبة، فأكد " كانط" معاقبة الطفل على كل مخالفة للأوامر او القوانين وان جاءت عن غفلة او عدم اكتراث فالعقوبة ضرورية والعقاب يكون اما معنوي او مادي، فالعقوبة المعنوية او الاخلاقية قائمة على اساس ان الطفل يبادر الى السلوك الحسن رغبه او ميول منه ليكسب اهتمام وحب الاخرين، لذلك اتخذ طريقة صدمة الميول منه وسلة للعقوبة، فعندما يشعر الطفل بالخزي نعامله ببرودة شديدة عند ارتكاب الخطأ هي افضل طريقة وعلى سبيل المثال ((عندما يكذب طفل، تكون نظرة احتقار عقوبة كافية، كما تكون انسب عقوبة))[36].

اما العقوبات المادية وهي تتمثل ((اما في رفض ما يرغب فيه الطفل، وإما في تطبيق الجزاء. فالشكل الاول من العقاب مقارب للعقاب المعنوي، بينما ينبغي تطبيق العقوبات الاخرى بحذر، حتى لا ينتج عنها استعداد الى الخُنوع. ولا يحس اعطاء الاطفال مكافآت اذ يصبحون بهذا نفعيين فينتج عن ذلك استعداد الى الارتزاق))[37].

واعتبر "كانط" العقوبة المعنوية والعقوبة المادية هي عقوبات مصطنعة، واشار الى نوع ثالث من العقوبة وهي العقوبة الطبيعية ويعتبرها كانت الافضل حيث يُدرك الطفل سلوكه الخاطئ بنفسه، مثلا ((عندما يمرض الطفل من الافراط في الاكل)) والعقاب الطبيعي يتعرض الانسان له طيلة حياته وليس فقط في مرحلة الطفولة.

لابد ان يكون الهدف من العقوبة هو الاصلاح للطفل لذلك على اولياء الامور والمربين اخذ الحذر في تطبيق العقوبة الا تكون مصحوبة بعلامات الغضب لان لها اثر سلبي ((فالاطفال عندئذ ينظرون اليها فقط على انها نتائج ناجمة عن انفعال شخص اخر، ويعتبرون انفسهم مستهدفين بهذا الانفعال))[38].

ورفض "كانط" استخدام العقوبة البدنية لان استخدامها ستجعل((الطفل عنيداً، واذا عاقب الوالدان اطفالهم بسبب العناد فانهم يصبحون عنيدين اكثر فأكثر))[39].

اما السمة الثانية الجوهرية في تكوين اخلاق الطفل هي الصدق : والصراحة ويعتبرهما كانط جوهر واساس الاخلاق والصدق يؤلف الشخصية ويكونها، لأن الانسان الكاذب لا شخصية له، حتى وان توفر فيه حسن، فأنه جاء نتيجة مزاجه، لان الصدق اعتبره كانت قانونا كليا وعاما بأي حال من الاحوال، والكذب ((يضيع الثقة و ينتفي الوعود و العهود بين الناس))[40].

لذلك على الانسان ان لا يكذب وان يتحلى بصفة الصدق ولو كان الكذب فيه مصلحة او منفعة.

لاحظ " كانط" ان الطفل له ميل للكذب والسبب ان الطفل في هذه المرحلة العمرية يمتلك ملكة خيال واسعة، فنبه كانت الامهات والاباء على ذلك، لانه لاحظ الكثير من امهات عصره ينظرن ((بوجه عام الا انها قضية قليلة الاهمية او عديمتها))[41].

مع العلم قلنا ان الكذب صفة ستحط من قيمة الانسان واحترام الاخرين له، فلابد ان نعمل على ازالة صفة الكذب عن الطفل، وايضا قلنا ان الطفل لديه قوة التخيل ولا يمتلك اقل فكرة مجردة عن الصدق وهنا وجب علينا معاقبة الطفل وهي

((سحب الاحترام وهي العقوبة الوحيدة المناسبة للكذب))[42]. وهي عقوبة ايجابية على حسب رأي كانت.

وحذر " كانط" اولياء الامور والمربين من محاولة انتزاع الاعتراف من الطفل عن طريق العقوبة السلبية فيقول ((حمرة الخزي تفضحنا عندما نكذب، ولكنها ليست دائما دليلاً على الكذب. فالمرء يحمر وجهه احياناً كثيرة من وقاحة شخص آخر يتهمه بذنب))[43].

الروح الاجتماعية او السلوك الاجتماعي:

وتُعد الروح الاجتماعية هي السمة الثالثة التي تقوم عليها خُلق الطفل، ولابد للطفل ان يحسن مخالطة ومعاشرة أطفال أخرين ويجب ان يكون له صداقات في المدرسة مع اقرانه، وان لا يكون وحيداً.

وهنا نرى ان " كانط" نقد بعض المدرسين الذين يعارضون الصداقة في المدارس واعتبارهم غلطة كبيرة بحق الطفولة، وعد كانت الصداقة هي واحدة من مباهج الحياة للطفل.

ويوصي "كانط" بأن تكون العلاقة طيبة بين الاطفال في المدارس، ولابد للمعلم ان لا يفضل اي تلميذ على القدرات والمواهب التي يمتلكها لان ذلك يؤدي الى ظهور الغيرة فيما بينهم وهذا نقيض للصداقة، بل يكون التفضيل فيما بينهم على اساس الخلق، فالتفوق ((يعتمد على شخصية الفرد وطبعة لا على القابلية الاكبر في التعلم والتمتع بالاستعدادات المختلفة. فالذي يتفوق على الاخرين هو ذلك الذي يتصف بطبع حميد مطلوب))[44].

وايضا اوصى "كانط" بأن يكون الطفل حساس القلب له نظرة مشرقة للحياة كالشمس، لان القلب المبتهج هو وحده ((القادر على ايجاد سعادته في الخير))[45].

ولكي تبقى قلوب الاطفال مبتهجة و صافية للحياة والطبيعة، لابد من تحرير الاطفال من قيود الاكراه في المدرسة في بعض الاحيان، لذلك عندما نترك الاطفال احرار نجدهم يعودون الى طبيعتهم بحيوية ونشاط، وان ((الالعاب التي يمارس فيها الاطفال حريتهم الكاملة وهم يحاولون منافسة بعضهم بعضا لهي افضل الالعاب لتحقيق هذه الغاية، سرعان ما تجعل هذه الالعاب اذهانهم بارعة مبتهجة مرة اخرى))[46].

ويرى" كانط" ان تعليم السلوك الاجتماعي للاطفال، يجب ان يتناسب مع اعمارهم، وايضا انتقد اولياء الامور الذين يفرحون عندما يرون اولادهم يسلكون سلوك ناضج قبل اوانه، فيقول ((يجب ان يكون الطفل شاطر، لكن كطفل فقط، يجب ان لا يقلد طرائق من هم اسن منه. فالطفل لكي يزود نفسه بعبارات اخلاقية تليق بالرجولة معناه انه يذهب بعيداً جداً وراء ميدانه يصبح مقلد))[47].

ويمكن القول ان "كانط" يريد ان يكون لكل مرحلة عمرية لها وقتها ولها متطلبات معينة، ولكي تتطور الشخصية وتتبلور عند الانسان بشكل صحيح لابد ان يعيش كل مرحلة عمرية بكل جوانبها ومعانيها حتى يصل الى التطور المطلوب فينتقل الى مرحلة عمرية متقدمة، لهذا فأن الطفل الذي يتصرف بنضج قبل الأوان فأنه لن يصبح انسان ذو بصيرة واتزان. ويكون المجتمع المنظم والمتحضر عبأ ثقيلاً علية.

فينصح "كانط" الوالدان الانتباه الى اي سلوك يظهر عن الطفل في الوقت غير المناسب والتصدي ايضا لكل سلوك يظهر فيه الطفل الغرور والانانية فيقول في هذا الامر يجب ان لا تتاح له الفرصة ليصبح معجبا بنفسه، ولكن هذا ما يحصل ان بدأنا نردد على مسامع الاطفال في وقت مبكر انهم جميلو الخلقة، وكيف أن هذه الزينة او تلك توافقهم على نحو يجلب الانظار، او عندما نَعِدُهم بهذا الاشياء او نعطيهم اياها مكافأة لهم. إن الزينة لا تليق بالأطفال، وينبغي ان لا ينظروا الى ملابسهم، حسنة كانت ام قبيحة، إلا على انها شيء ضروري[48].

وهنا يجب على اولياء الامور ان يكونوا قدوة لأطفالهم فلابد عليهم ان يعيروا اهمية اقل نحو هذه الامور (من ذهب ومجموهرات) وان يتجنبوا النظر الى انفسهم في المرأة ولا يحاولوا البحث عن الالبسة الانيقة الغالية.

الخاتمة:

نصل في نهاية المطاف الى القول ان فلسفة كانط التربوية لها دور كبير في تطور النظام التربوي والتعليمي. وتعد اراء "كانط" في التربية الاخلاقية قيمّة من وجهة نظر المسؤولين عن التربية والتعليم نظرا لكونها نابعة من فكر عظيم وعميق والاهتمام بأدق القضايا الاخلاقية. ومن خلال بحثنا سنحاول ان نقدم استنتاجات عدة ومنها:

1- ان الانسان لا يصبح كائن اخلاقي الا إذا ارتقى و ادرك بعقله الى مفهومي الواجب والقانون، وهذا الامر لا يحدث الا بالتربية التي تقوم بإرساء قواعد ومبادئ اخلاقية في عقل الطفل.
2- يتميز النظام التربوي الكانتي الاهتمام بالتربية العملية في التربية الاخلاقية والاستعداد الى الحياة المستقبلية في المجتمع.
3- اكد "كانط" على كرامة الانسان والحفاظ عليها هو أمر طبيعي لتجعله أنبل من جميع المخلوقات الأخرى.
4- اهتم" كانط" في تربيته الاخلاقية على تطبيق الفعل الاخلاقي الخالي من العاطفة والقائم على اساس الواجب.
5- الحرية هي احدى المقومات الاساسية في التربية الاخلاقية، ولابد ان يتمتع بها الطفل، ولكن لابد ان يتعلم ويفهم الى جانب ذلك الالتزامات القانونية والاجتماعية وضرورة الانصياع للقانون، لان بالقانون يستطيع الانسان استخدام حريته.
6- يُولي "كانط" اهمية كبيرة على دور المعلم والمربي في التربية الاخلاقية ويعُده محورا رئيسيا في العملية التربوية، الا انه لم يتجاهل كانت دور الطالب من خلال استخدامه لعقله ولحريته.

الهوامش:

1- ديورانت، ول، 2004، قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي، ترجمة الدكتور فتح الله المشعشع، ط1، بيروت، مكتبة العارف، ص217.

2- كانت إمانويل، 1980، تأسيس ميتا فيزيقا الاخلاق، ترجمة د.عبد الغفار مكاوي، مراجعة د. عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص27.

3- هورن، هرمان هارل، 1926، فلسفة التربية، ترجمة عبدالله مشنوق، ط2، بغداد، دار السلام، ص83.

4- ديورانت، ول، 2004، ص218.

5- كانت، إمانويل، 1980، ص27.

6- ديورانت، ول، 1980، ص218.

7- زيدان، محمد مصطفى، الشربيني، محمود محمد السيد، ب، ت، مفهوم الحرية في التربية الحديثة، راجعة وقدم له احمد زكي محمد، القاهرة، مطابع الطناني، ص79.

8- زيدان، محمد مصطفى، الشربيني، محمود محمد السيد، ب، ت، مفهوم الحرية في التربية الحديثة، ص78.

9- بدوي، عبد الرحمن، 1976، الاخلاق النظرية، الكويت، وكالة المطبوعات، ص266.

10- ينظر: رسل، برتراند، 2012، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص280.

11- ذكرى، ابو بكر، 1965، تاريخ النظريات الاخلاقية وتطبيقاتها، ط4، دمشق، دار الفكر العربي، ص42.

12- ذكرى، ابو بكر، 1965، ص103.

13- كانط، إمانويل، 2005، تأملات في التربية، محمود بن جماعة، تونس، دار محمد علي للنشر، ص73.

14- وزادة، طيبة ماهر،2001، فلسفة كانت التربوية، تعريب عبد الرحمن العلوي، ط1، بيروت، دار الهادي، ص269

15- كانط، إمانويل، 2005، ص74.

16- كانط، إمانويل، المصدر السابق، ص66.

17- وزادة، طيبة ماهر، 2001، ص261.

18- كانط، عمانوئيل، 1998، التربية، ترجمة د. عبد الرحمن القيسي، بغداد، المجمع العلمي، ص97.
19- بدوي، عبد الرحمن، 1429، موسوعة الفلسفة ،ج2، ط1، قمم، ذوي القربى، ص283.
20- كوبلستون، فردريك، 2010، تاريخ الفلسفة (المجلد السادس)، ص443.
21- كانط، إمانويل، 2005، ص69.
22- كانط، إمانويل، المصدر السابق، ص70.
23- بدوي، عبد الرحمن، 1429، ص 284.
24- وزادة، طيبة ماهر، 2001،ص 266.
25- رايت، وليم كلي 2010، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد احمد ، تقديم ومراجعة: امام عبد الفتاح امام، ط1، بيروت، دار التنوير، ص282.
26- كانط، إمانويل، 2005، ص67.
27- كانط، إمانويل، المصدر السابق، ص72.
28- كانط، إمانويل، المصدر السابق، ص72.
29- وزادة، طيبة ماهر، 2001، ص267.
30- ينظر: كانط، إمانويل، 2005، ص72، ص73.
31- كانط، إمانويل، المصدر السابق، ص73.
32- كانت عمائويل، 1998، ص101.
33- كانت عمائويل، المصدر السابق، ص83.
34- وزادة، طيبة ماهر، 2001، ص250.
35- وزادة، طيبة ماهر، المصدر السابق، ص250.
36- كانط، إمانويل، 2005، ص61.
37- كانط، إمانويل، المصدر السابق، ص61
38- كانط، إمانويل، المصدر السابق، ص62
39- كانت عمائويل، 1998، ص85.
40- ديورانت، ول، 2004، ص218.
41- كانت عمائويل، 1998، ص86
42- كانت عمائويل، المصدر السابق، ص 86
43- كانط، إمانويل، 2005، ص63.
44- وزادة، طيبة ماهر، 2001، 256.

45- كانت عمائويل، 1998، ص87.

46- كانت عمائويل، المصدر السابق، ص87.

47- كانت عمائويل، المصدر السابق، ص88.

48- ينظر: كانت، إمانويل، 2005، ص64، ص65.

Moral Education by Immanuel Kant

Dr. Nasren khalel Hussein

Al- Mustansiriya University\ College of Education

nasrenkhalel@gmail.com

Key words: Education, Moral, Emmanuel

Summary:

Kant proceeded from the German reality and tried to offer a deeper reform in all its fields to advance the future of humanity in general and Germany in particular. Considering that Kant was a moral philosopher in the first place who was researching the fate of humanity as a whole and realizing that morals only come through education as it is a human quality. It was the proposition that caught our attention and from it was the subject of our research، and to reach this goal the research proceeded as follows:

The first topic discusses the ethical controls from their educational perspective in Kant، and the second study talks about the basic or scientific steps in Kant's moral education. The third topic was devoted to the main characteristics in the formation of morals in the child.